

وأما بكاءه ﷺ ، فكان من جنس ضحكته ، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكته بقهقهة ، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملًا ، ويُسمع لصدره أزيزٌ . وكان تارة رحمة للميت ، وتارة خوفًا على أمته وشفقة عليها ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن ، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال ، مصاحبٌ للخوف والخشية . ولما مات ابنه إبراهيم ، دمعت عيناه وبكى رحمة له ، وقال : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ »^(١) . وبكى لما شاهد إحدى بناته وتَفَسَّهَا تَفِيضٌ ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة (النساء) وانتهى فيها إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٢) [النساء : ٢١] وبكى لما مات عثمان بن مظعون ، وبكى لما كَسَفَتِ الشَّمْسُ ، وصلى صلاة الكسوف ، وجعل يبكي في صلاته ، وجعل ينفخ ، ويقول : « رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ »^(٣) وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته^(٤)

(١) أخرجه البخاري ١٣٩/٣ ، ١٤٠ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ انابك محزونون ، ومسلم (٢٣١٥) في الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعمال ، وأبو داود (٣١٢٦) في الجنائز : باب في البكاء على الميت ، وأحمد في « المسند » ١٩٤/٣ من حديث أنس .

(٢) أخرجه البخاري ١٨٨/٨ ، ١٨٩ و ٨١/٩ ، ومسلم (٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي النبي ﷺ اقرأ علي ، قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تدرقان .

(٣) رواه أبو داود (١١٩٤) في الصلاة : باب من قال يركع ركعتين ، والنسائي ١٣٧/٣ ، ١٣٨ في صلاة الكسوف ، وأحمد في « المسند » ١٥٩/٢ و ١٨٨ ، والترمذي في « الشمائل » (٣١٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وسنده صحيح ، لأن عطاء بن السائب قد رواه عنه شعبة في الرواية الثانية لأحمد وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط .

(٤) أخرجه البخاري ١٦٧/٣ في الجنائز : باب من يدخل قبر المرأة عن أنس قال : شهدنا بنتاً للنبي ﷺ قال : ورسول الله جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه تدمعان ، قال : فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة ، فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزل ، قال : فنزل في قبرها . وفي هذا الحديث مشروعياً إشار البعيد عن الملاذ في مواراة الميت ولو كان امرأة على الأب والزوج .